

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 84]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]، ثُمَّ هَدَّدَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ دَعْوَتِهِمُ الْحَقَّةَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 82]؛ فَكَانَ السَّامِعُ حَرِيًّا بِأَنْ يَقُولَ: أَنَا مُقْبَلٌ عَلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْحَقِّ، غَيْرُ مُتَوَلٍّ عَنْهُ، فَمَا أَقُولُ وَمَا أَفْعَلُ؟ فَقَالَ سُبْحَانَهُ مُخَاطَبًا رَأْسَ السَّامِعِينَ وَالْمُقَدَّمِ فِيهِمْ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَجْدَرَ لِمِثَالِهِمْ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ (1).

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾: السَّيْنُ وَالْبَاءُ وَالطَّاءُ: تَدُلُّ اسْتِقْفَاقُهَا عَلَى امْتِدَادِ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: شَعْرٌ سَبِطٌ وَسَبِطٌ؛ إِذَا اسْتَرَسَلَ، وَلَمْ يَكُنْ جَعْدًا (2)، وَالسَّبِطُ: الرَّهْطُ وَالْقَبِيلَةُ، وَجَمْعُهُ: أَسْبَاطٌ (3)، وَالسَّبِطُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَنْزِلَةِ الْقَبِيلَةِ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ (4).

وَالْأَسْبَاطُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ، وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ سَبِطًا، كُلُّ سَبِطٍ قَبِيلَةٌ (5).

(2) ﴿وَأُوتِيَ﴾: الْهَمْزَةُ وَالْتِاءُ وَالْحَرْفُ الْمَعْتَلُّ: تَدَوَّرَ تَصَارِيفُهَا عَلَى وَصُولٍ أَوْ تَقَدُّمٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 4/473.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبط).

(3) الجيمزّي، شمس العلوم: (سبط).

(4) الخليل، العين، وأبو حيان، تحفة الأريب: (سبط).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (سبط).

وحضور إلى محلِّ بَهْيَةٍ أو قُوَّةٍ تُزِيلُ ما يعوقُ، ومنهُ قولهم: آتَى إِلَيْهِ الشَّيْءُ، أي: ساقَهُ ودَفَعَهُ، فجعله يَأْتِي إِلَيْهِ، وآتَى فلاناً شيئاً: أعطاه إيَّاه⁽¹⁾، فالإيتاء: الإِعطاء⁽²⁾، وهو المرادُ بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَوْتَى مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾.

(3) ﴿نُفِّرْ﴾: الفاء والراء والقاف: تدلُّ اشتقاقها على تَمْيِيزٍ بين شيئين⁽³⁾، ومنهُ سَمِّيَ القرآن الكريم: فُرْقَاناً؛ لأنَّه يُمَيِّزُ بين الحقِّ والباطل⁽⁴⁾، وَسَمِّيَ عَمْرٌ - ﷺ - الفاروقَ لذلك⁽⁵⁾.

والفِعْلُ: فَرَّقَ، وإذا أُريدَتِ المبالغةُ ضُعِفَتْ عَيْنُهُ، فقيل: فَرَّقَ، ومصدره: التَّفْرِيقُ، ومنهُ قولُ الله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، أي: لا نُمَيِّزُ بين أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ: بأنْ نُؤْمِنَ بهذا، ونَكْفُرَ بذاك.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

قل - يا أَيُّهَا الرُّسُولُ ﷺ - لأهلِ الكتاب الذين جادلوك بالباطل: صدَّقنا باللهِ تعالى، وأَقَرَرْنَا به إقراراً يَسْتَلْزِمُ القبولَ والإذعانَ، فلا ربَّ لنا غيرُهُ، ولا معبودَ لنا سِوَاهُ، وآمَنَّا بالوحي الذي أنزله اللهُ علينا، والوحي الذي أنزلهُ على الأنبياءِ قبلنا: إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ عليه السلام، والوحي الذي أنزلهُ على الأسباطِ: وهمُ الأنبياءُ الذين كانوا في قبائلِ بني إسرائيلَ الاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْ ولدِ يَعْقُوبَ، وما أُوتِيَهُ مُوسَىٰ ﷺ مِنَ التَّوْرَةِ، وما أُوتِيَهُ عِيسَىٰ ﷺ مِنَ الإنجيلِ، وما أنزله اللهُ تعالى على أنبيائه، نُؤْمِنُ بذلك كُلَّهُ، ولا نُفَرِّقُ بين أَحَدٍ مِنْهُمْ: بأنْ نُؤْمِنَ ببعضٍ، ونَكْفُرَ ببعضٍ، ونحنُ لله تعالى وحده مُسْتَسْلِمُونَ بالتَّوْحِيدِ، مُنْقَادُونَ بالطَّاعَةِ⁽⁶⁾.

(1) جبل، للعجم الاشتقاقِي المؤصل: (أنو/أتى).

(2) الأزهرِي، تهذيب اللُّغة: (أتى).

(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فرق).

(4) ابن دُرَيْد، جمهرة اللُّغة: (فرق).

(5) ابن سيده، اللُّخْص: 3/409.

(6) ابن جرير، جامع البيان: 6/569 - 570. والتَّسْفِي، مدارك التَّنْزِيل: 1/271. والطَّنْطاوي، التَّفْسِير الوسيط: 2/168. ونخبة من العلماء،

التَّفْسِير البِشْر، ص: 61.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

سَبَبُ فَضْلِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:
 فَضْلُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ عَمَّا قَبْلُ؛ لما بينهما من شبه كمال الاتصال، فالجملة واردة على طريقة الاستئناف البياني؛ إذ هي جوابٌ عن سؤالٍ يَهْمُ مِنَ الْأُولَى، وذلك أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لما نَزَّهَ أَنْبَاءَهُ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى غَيْرِهِ، وَهَدَّدَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ دَعْوَتِهِمْ؛ أَوْرَثَ ذَلِكَ سُؤَالَ فِي نَفُوسِ الْمُتَلَقِّينَ الْمُذْعِنِينَ لِلشَّرْعِ الْمُنْقَادِينَ لَهُ؛ نحن مُقْبِلُونَ عَلَى دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ - ﷺ - غير معرضين عنها، فما نَقُولُ وما نَفْعَلُ؟ فجاء الجوابُ بـ ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ خطاباً لمَقْدَمِ الْمُنْقَادِينَ لِلشَّرْعِ؛ لِيَكُونَ آخَرَى لَامِتِّالِهِمْ⁽¹⁾.

تَعْيِينُ الْمَأْمُورِ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾:

المأْمُورُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ⁽²⁾؛ أحدهما: أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا ﷺ وهذا فيه مسلَكَانِ؛ أَوَّلُهُمَا: أَنْ يَكُونَ هُوَ وَأَمَّتُهُ مَأْمُورِينَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾ عَلَى تَقْدِيرٍ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ وَأَمَّتُكَ: آمَنَّا، وَإِنَّمَا حُذِفَ الْمَعْطُوفُ؛ لَفْهَمِ الْمَعْنَى، وَبَقَرِيْنَةُ جَمْعِ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ بَعْدُ: ﴿ءَامَنَّا﴾. وَالْآخَرُ: أَنَّ الْمَأْمُورَ هُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا جِيَءَ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ فِي ﴿ءَامَنَّا﴾؛ تَعْظِيْمًا لَهُ وَتَبْجِيلًا.

وَالْوَجْهُ الْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ الْمَأْمُورُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالتَّقْدِيرُ: قُلْ لَهُمْ قُولُوا: آمَنَّا،

وَكُونَ الْمُخَاطَبَ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ وَحْدَهُ أَوَّلَى؛ لِإِفْتِقَارِ الْقَوْلِ بِغَيْرِهِ إِلَى التَّقْدِيرِ، وَهُوَ خِلَافُ الْأَصْلِ، وَخُوطِبَ ﷺ بِهَذَا؛ لِيَقُولَ ذَلِكَ بِمَسْمَعٍ مِنْ النَّاسِ كُلِّهِمْ؛ مُسْلِمِيهِمْ وَكَافِرِيهِمْ⁽³⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 4/473.

(2) ابن عطية، للحزر الوجيز: 1/467. وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 5/369.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/302.

لِلْوَحْدِ لِلَّهِ تَعَالَى
 الْمُنْقَادِ لِشَرْعِهِ
 يُغْلِنُ إِيمَانَهُ،
 وَيَجْهَرُ بِهِ

الْأُمَّةُ مَأْمُورَةٌ
 بِالْإِثْسَاءِ بِالنَّبِيِّ



وَحُصَّ النَّبِيُّ ﷺ بِتَوْجِيهِ الْخُطَابِ إِلَيْهِ؛ لَكُونِهِ رَأْسَ السَّامِعِينَ
وَالْمُقَدَّمِ فِيهِمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَجْدَرَ لَامْتِثَالِهِمْ⁽¹⁾.

فَالْأُمَّةُ وَإِنْ لَمْ تَدْخُلْ ابْتِدَاءً فِي الْخُطَابِ بِ﴿قُل﴾، إِلَّا أَنَّهَا دَاخِلَةٌ
بِدَلِيلٍ آخَرَ: وَهُوَ كَوْنُهَا مَأْمُورَةٌ بِالِاتِّسَاءِ بِهِ ﷺ.

نُكْتَةُ الْجَمْعِ فِي ﴿ءَامَنَّا﴾ بَعْدَ الْإِفْرَادِ فِي ﴿قُل﴾:

جُمِعَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ءَامَنَّا﴾ بَعْدَ إِفْرَادِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُل﴾؛
لِإِظْهَارِ جَلَالَةِ قَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَفْعَةِ مَنْزِلَتِهِ؛ إِذْ أُمِرَ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَنْ
نَفْسِهِ عَلَى دَيْدَنِ الْمُلُوكِ وَطَرِيقَتِهِمْ بِأَسْلُوبِ الْجَمْعِ تَعْظِيمًا⁽²⁾،
وَيُؤَيِّدُهُ: إِفْرَادُ الضَّمِيرِ قَبْلُ فِي ﴿قُل﴾، فَإِنَّهُ تَشْرِيفٌ لَهُ ﷺ وَإِذَانٌ
بَأَنَّهُ أَصْلُ فِي ذَلِكَ، كَمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ
النِّسَاءَ﴾⁽³⁾ [الطَّلَاق: 1].

جَلَالَةُ قَدْرِ النَّبِيِّ
وَرَفِيعُ
مَنْزِلَتِهِ

سِرُّ تَقْدِيمِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى غَيْرِهِ:

قُدِّمَ ذِكْرُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِيمَانِ بِالْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ
بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ أَصْلُ الْإِيمَانِ بِالنُّبُوَّةِ، وَتَنَبَّى بِذِكْرِ الْإِيمَانِ بِمَا أُنْزِلَ
عَلَيْهِ ﷺ؛ لَكُونِ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ دَخَلَهَا التَّحْرِيفُ وَالتَّبْدِيلُ،
فَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ سَبِيلٌ إِلَى مَعْرِفَةِ حَالِهَا إِلَّا بِمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَكَانَ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَالْأَصْلِ لِمَا أُنْزِلَ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ
الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ؛ وَلِذَا قَدِّمَهُ وَإِنْ كَانَ إِنْزَالُهُ مُتَأَخِّرًا عَنْهُمْ زَمَنًا، وَتَلَتْ
بِذِكْرِ جُمْلَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَحُصَّ الْمَذْكُورِينَ؛ لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ يَقْرَأُ أَهْلُ
الْكِتَابِ بِوُجُودِهِمْ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِي نُبُوَّتِهِمْ⁽⁴⁾.

الْإِيمَانُ بِاللَّهِ
تَعَالَى أَصْلُ كُلِّ
خَيْرٍ

وَفِي تَقْدِيمِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 4/473.

(2) إسماعيل حقي، روح البيان: 2/58. والقاسمي، محاسن التأويل: 2/345.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/54.

(4) الرزائي، مفاتيح الغيب: 8/281. والقبّوجي، فتح البيان: 2/277.

تقديمٌ للسَّبَبِ على المَسَبِّ، والمَقْدَمَةِ على النَتِيجَةِ؛ لإظهارِ شرفِ النَتِيجَةِ في نَفْسِهَا، وَأَنَّهَا مَقْصُودَةٌ لِدَاتِهَا لَا تَابِعَةٌ لغيرِهَا؛ إِذْ مَا أَنزَلَهُ اللهُ تَعَالَى على رُسُلِهِ يَتَضَمَّنُ لُبَّ الشَّرِيعَةِ وَأَسْهَأَهَا⁽¹⁾.

نُكْتَةُ التَّغْرِيفِ بِالْمَوْصُولِ:

تَفْخِيمُ شَأْنِ
الْوَحْيِ الْمُنْزَلِ

جاءَ بِالإِسْمِ المَوْصُولِ ﴿وَمَا﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾؛ لإِفَادَةِ التَّفْخِيمِ والتَّعْظِيمِ، وَذَلِكَ لِما فِي الإِسْمِ المَوْصُولِ مِنَ الإِبْهَامِ الصَّالِحِ لِهَذِهِ الدَّلَالَةِ، فَالآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى تَعْظِيمِ الوَحْيِ الْمُنْزَلِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ والوَحْيِ الْمُنْزَلِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الأنبياءِ، وَزَيْدِ الوَحْيِ الْمُنْزَلِ عَلَى نَبِينَا ﷺ إِشَادَةٌ بِهِ؛ تَعْظِيمًا لَهُ بِذِكْرِهِ مَقْدَمًا، إِذِ لِلْمَقْدَمِ مَزِيدُ عَنَايَةٍ.

سِرُّ بِنَاءِ الْفِعْلِ ﴿أَنزَلَ﴾ بِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ:

عَظَمَةُ مُنْزَلِ
الْوَحْيِ ﷻ

وَالْمُنْزَلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنزَلَ﴾ هُوَ اللهُ تَعَالَى، وَبَيَّيَ الْفِعْلُ ﴿أَنزَلَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ بِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ؛ لِلْعِلْمِ بِهِ وَلِكونِهِ مُتَعَيَّنًا، تَعْظِيمًا لِلْمُنْزَلِ ﷻ.

وَفِي تَعْظِيمِ الْمُنْزَلِ تَعْظِيمُ الْمُنْزَلِ - وَهُوَ الْوَحْيُ - وَتَعْظِيمُ الْمُنْزَلِ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

دِلَالَةُ حَرْفِ (عَلَى) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾:

عُلُوُّ قَدْرِ النَّبِيِّ ﷻ

حَرْفُ الْجَرِّ (عَلَى) مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾ دَالٌّ عَلَى الاسْتِعْلَاءِ، وَوَجْهُهُ هَهُنَا: أَنَّ الْكَلَامَ فِي الْوَحْيِ الْمُنْزَلِ، وَالْإِنْزَالُ يَكُونُ مِنْ فَوْقٍ⁽²⁾.

وَفِيهِ أَيْضًا: تَشْرِيفُ النَّبِيِّ ﷻ وَإِظْهَارُ عَظِيمِ مَنَزَلَتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخُطَابَ كَانَ وَاصِلًا إِلَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِلا واسِطَةٍ بَشَرِيَّةٍ، فَكَانَ التَّعْبِيرُ بِحَرْفِ الْجَرِّ (عَلَى) الْمُخْتَصَّ بِالْعُلُوِّ مُنَاسِبًا لِهَذَا الْمَقَامِ⁽³⁾.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/1299.

(2) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكُشَافُ: 1/381. وَابْنُ عَادِلٍ، الْبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ: 5/369.

(3) الرَّازِبِيُّ، تَفْسِيرُ الرَّازِبِيِّ: 2/689.

نُكْتَةُ تَكَرَّرِ الْمَوْصُولِ ﴿وَمَا﴾ وَالْفِعْلِ ﴿أُنْزِلَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾:

كُرِّرَ الموصولُ ﴿وَمَا﴾ والفعلُ ﴿أُنْزِلَ﴾، وكان يتأتى أن يردَّ النظمُ القرآني: (آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ)، وذلك للإيماءِ إلى المغايرةِ بَيْنَ الْمُنْزَلَيْنِ⁽¹⁾، وذلك مِنْ أَوْجِهِ، مِنْهَا: أَوَّلًا: أَنَّ الْمُنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَحْفُوظٌ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ تَبْدِيلٌ وَلَا تَحْرِيفٌ، بخلاف الْمُنْزَلِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فقد دخلهُ التَّبْدِيلُ والتَّغْيِيرُ.

ثَانِيًا: أَنَّ الْمُنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حَاكِمٌ وَمُهَيِّمٌ عَلَى الْمُنْزَلِ قَبْلُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 48].

ثَالِثًا: أَنَّ مَا نَزَلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ - ﷺ - نَزَلَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَالْمُنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَهُ إِنْزَالَانِ: إِنْزَالٌ جُمْلِيٌّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تَلَاهُ إِنْزَالٌ بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ.

سِرُّ تَخْصِيصِ جُمْلَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهِمْ:

خَصَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرُؤُونَ بِوُجُودِ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَمْ يَخْتَلَفُوا فِي نُبُوَّتِهِمْ⁽²⁾.

وَلَمْ يُذَكَّرْ غَيْرُهُمْ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي لَوْمِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَتَوْبِيخِهِمْ، وَهُمْ لَا يَدْعُونَ إِيمَانًا وَعَمَلًا بِكِتَابِ غَيْرِ الْمَذْكُورِينَ.

نُكْتَةُ التَّغْيِيرِ بِالْإِيتَاءِ دُونَ الْإِنْزَالِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَوْقَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَى﴾:

جَاءَ التَّعْبِيرُ بِالْإِيتَاءِ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ تَعَالَى مُوسَى وَعِيسَى ﷺ فِي

بَغْضٍ أَوْجُهُ
الْمُغَايِرَةِ بَيْنَ
الْمُنْزَلِ عَلَى النَّبِيِّ
ﷺ وَالْمُنْزَلِ عَلَى
الْأَنْبِيَاءِ ﷺ

إِفْرَازُ أَهْلِ
الْكِتَابِ بِمَا أُنْزِلَ
عَلَى أَنْبِيَاءِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ يَسْتَلْزِمُ
إِيمَانَهُمْ بِمَا
أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ
ﷺ

(1) الهرري، حقائق الروح والريحان: 2/320.

(2) الفتاوى، فتح البيان: 2/277.

دِقَّةُ الْبَيَانِ
الْمُزَانِي فِي
اخْتِيَارِ اللَّفْظِ
الْمُنَاسِبِ لِمَسَائِقِهِ

قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾، ووقع التعبير بالإنزال مع الأنبياء المذكورين قبل في قوله ﷺ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾، ونكتة ذلك: أنَّ لفظ الإنزال صريح في الدلالة على انتقال من فوق إلى تحت، بخلاف لفظ الإيتاء؛ فإنه محتمل لكونه من اليمين أو الفوق وعكسهما، وأوثر لفظ الإيتاء مع موسى وعيسى ﷺ: لأنَّ النَّصارى: مؤمنون بما أُنْزِلَ على عيسى ﷺ، واليهود: مؤمنون بما أُنْزِلَ على موسى ﷺ، فلما كان كذلك لم يُحْتَجْ معهم إلى لفظ ينصُّ على ربَّانِيَّةِ مصدر كُتِبَهم، بل عدل عن لفظ آخر، وهو الإيتاء، بخلاف حالهم مع ما أُنْزِلَ على النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وعلى إبراهيم ومَن ذَكَرَ بعد؛ فإنَّهم غير مُتَّبِعِينَ لَهُ، بل إنَّ طائفةً مِنْهُمْ يزعمون أنَّهم تلقَّوه مِنَ الْكُهَّانِ، فلما كان الأمر كذلك؛ جيء باللفظ الصريح الدال على نزوله من فوق إلى تحت؛ قطعاً لهذا الشك والاحتمال (1).

نَكْتَةُ الْإِطْنَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالْتَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾:

عُطِفَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْتَّبِيُّونَ﴾ عَلَى ﴿مُوسَى﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾، وَهُوَ مِنَ الْإِطْنَابِ بِذِكْرِ الْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ (2)؛ لِأَنَّ مُوسَى وَعِيسَى ﷺ مِنْ جَمَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَفِيهِ إِمَاءٌ إِلَى مَزِيدٍ عَنَايَةِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورَةِ أَسْمَاؤُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ ذُكِرُوا بِطَرِيقَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: بِالتَّصْرِيحِ بِخُصُوصِ أَسْمَائِهِمْ، وَالْأُخْرَى: ذِكْرُهُمْ بِاسْمٍ عَامٍّ يَنْدَرِجُونَ تَحْتَهُ.

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى (الرَّبِّ) فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْتَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾:

عُبرَ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى (الرَّبِّ) فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْتَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾؛ لِمَا فِي هَذَا الْإِسْمِ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى إِحْسَانِهِ سُبْحَانَهُ

تَفَاضُلُ الْأَنْبِيَاءِ
عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ

سَعَةِ إِحْسَانِ
اللَّهِ تَعَالَى
بِالْعِبَادِ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/174.

(2) الرَّحِيلِي، التفسير المنير: 3/283.

وتعالى إلى أنبيائه خاصة بإنزاله وحيه إليهم واصطفائهم لهذه المنزلة الرفيعة، وإحسانه تعالى إلى عموم العباد بإرسال الرُّسُل إليهم؛ لهدايتهم لما فيه صلاح دنياهم وآخرهم⁽¹⁾.

وفي إضافة اسم الربِّ إلى الضمير الرَّاجِعِ إلى الأنبياء من اللطف ما لا يخفى، وفيه تعظيم وتشريف للمضاف إليه⁽²⁾.

سَبَبُ فَضْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ عَمَّا قَبْلُ:

فَصَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ عَمَّا قَبْلُ؛ لما بينهما من شبه كمال الاتصال، وهو المسمى: الاستئناف البياني، وذلك أن هذه الجملة ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ واردة جواباً عن سؤال يفهم ممَّا سبق، ووجه ذلك: أن الله تعالى لما أمر نبيه ﷺ - والمؤمنون يتأسَّون به - بإعلان إيمانه بالمنزل عليه، والمنزل على الأنبياء من قبله، ومن جملتهم: موسى وعيسى ﷺ وكان السياق في الكلام عن أهل الكتاب وهم مؤمنون بهذين النبيين: اليهود بموسى ﷺ، والنصارى بعيسى ﷺ؛ قد يظنُّ أنه لا فرق بين أهل الإسلام وبين اليهود والنصارى؛ إذ الجميع يؤمن بالأنبياء في الجملة، فأثار ذلك سؤالاً في نفوس المتلقين: ما الفرق بيننا وبينهم؟ فجاء الجواب في قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾؛ تنبيهاً على المحل الذي كفر به اليهود والنصارى⁽³⁾، فهو تعريض بهم؛ لكونهم يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض، ويحملهم حبُّ نبيهم على معاداة غيره⁽⁴⁾.

وفي قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ محذوفٌ، دلَّ عليه لفظُ ﴿بَيْنَ﴾؛ لاقتضائه شيئين فأكثر، والتقدير: لا نفرِّق بين أحدٍ وآخر⁽⁵⁾.

وَجُوبُ الْإِيمَانِ
بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
جَمِيعًا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 4/474.

(2) الألوسي، روح المعاني: 2/207.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 4/474.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/302.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/302، 1/740.

وَجُوبُ إِخْلَاصِ
الْإِسْلَامِ لِلَّهِ
تَعَالَى

دِلَالَةُ تَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ ﴿لَهُ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمَجْرُورُ ﴿لَهُ﴾ مِنْ قولِ الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، وأصلُ الكلامِ: وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ لَهُ، وفي ذلك نَكْتَتَانِ:

إحداهما: إفادةُ القصرِ، فإنَّ تقديمَ ما حقُّه التَّأخيرُ مفيدٌ لذلك، والمعنى: أَسَلَّمْنَا أَنْفُسَنَا لِلَّهِ تَعَالَى لَا نَجْعَلُ لَهُ شَرِيكًا، وإِسْلَامُنَا خَالِصٌ لَهُ سُبْحَانَهُ، لَا غَرَضَ آخَرَ لَنَا مِنْ رِيَاءٍ أَوْ سُمْعَةٍ أَوْ طَلَبِ مَالٍ أَوْ رِئَاسَةٍ⁽¹⁾.

وهذا تعريضٌ بإيمانِ أهلِ الكتاب؛ فَإِنَّهُمْ بِمَعَزَلٍ عَنْ هَذَا الإِخْلَاصِ⁽²⁾.

والأخرى: أَنَّ فِي هَذَا التَّقْدِيمِ مِرَاعَاةً لِلتَّنَاسُبِ الصَّوْتِيِّ بَيْنَ فَوَاصِلِ الْآيِ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا، فَإِنَّ قَبْلَهَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: 83]، وَبَعْدَهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

وقوله ﷻ: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ جملةٌ مؤكَّدةٌ، وَذَلِكَ بِإِيرَادِهَا اسْمِيَّةً؛ إِذِ الْجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ أَكْدُ مِنَ الْفِعْلِيَّةِ، وفي هذا إِشْعَارٌ بِأَهْمِيَّةِ الإِخْلَاصِ وَوَجُوبِهِ.

بَرَاءَةُ الْخَتْمِ فِي الْآيَةِ:

اخْتُتِمَتِ الْآيَةُ بِالْإِسْلَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، وَكَانَتْ قَدْ افْتُتِحَتْ بِالْإِيمَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾، وفي ذلك مَا يُسَمِّيهِ الْبَلَاغِيُّونَ: تَشَابُهَ الْأَطْرَافِ، وَهُوَ أَنْ يُخْتَمَ الْكَلَامُ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ أَوَّلِهِ فِي الْمَعْنَى⁽³⁾، وَوَجْهُ التَّنَاسُبِ ظَاهِرٌ، مِنْ جِهَةِ الْإِقْتِرَانِ بَيْنَ

إِذَا افْتَرَقَ
لَفْظُ الْإِسْلَامِ
وَالْإِيمَانِ؛ شَمَلَ
كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ

(1) الرَّازِي، مفاتيح الغيب: 8/282.

(2) أَبُو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 2/55.

(3) الصَّعِيدِي، بغية الإيضاح: 4/584.

الإِسْلَامَ والإِيمَانِ شَرْعًا، وتَلَازُمَهُمَا، وشمولِ أحدهما الآخرَ عندَ انْفِرَادِهِ بالذِّكْرِ.

وَحُتِمَ بالإِسْلَامِ؛ لِكَوْنِهِ الثَّمَرَةُ والغَايَةُ مِنْ كُلِّ دِينٍ أُرْسِلَ بِهِ نَبِيٌّ مِنَ الأنبياءِ⁽¹⁾.

تَوْجِيهِ التَّشَابِهِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ قَوْلَيْهِ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ وَقَوْلَيْهِ: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾، وقال في سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽³⁾ [البقرة: 136]، والفرقُ بينهما مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَوَّلُهَا: فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾، وَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: 136]، وَوَجْهُ التَّغَايُرِ بَيْنَهُمَا: أَنَّ سِيَاقَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ فِي أَخْذِ الْإِيثَاقِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: 81]، فَعَيَّنَهُ فِي هَذَا الْخُطَابِ؛ لِيُظْهِرَ تَصَدِيقَهُ لِمَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ، بِخِلَافِ آيَةِ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّهُ رَدَّ قَبْلَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: 135]، بِذِكْرِ كَيْدِ الْيَهُودِ وَمَكْرِهِمْ بِالْمُسْلِمِينَ، فَنَاسَبَ قَوْلَهُمْ: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: 135] أَنْ يَرِدَ النَّظْمُ الْقِرَائِيُّ فِيهَا: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾؛ تَثْبِيثًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى لُزُومِ الْإِسْلَامِ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ⁽²⁾.

إِبْرَازُ الدَّلِيلِ عَلَى
كَوْنِ النَّبِيِّ ﷺ
مُصَدِّقًا لِكُتُبِ
قَبْلِهِ

(1) الهرَبَرِّي، حُدَائِقُ الرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ: 4/584.

(2) ابْنُ الرَّيْبِر، مِلَاحُ التَّأْوِيلِ: 1/52. وَمَنِ النَّصْر، بِلَاغَةُ التَّشَابِهِ اللَّفْظِيِّ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ص: 1387.

إِنْزَالُ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ لَهُ
اِعْتِبَارَانِ إِنْزَالٌ
بِاِعْتِبَارِ الْمَبْدَأِ،
وَإِنْزَالٌ بِاِعْتِبَارِ
الْإِنْتِهَاءِ

ثانيها: في سورة آل عمران: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، وفي سورة البقرة: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: 136]، فَخُصَّتِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ بِحَرْفِ الْجَرِّ (إِلَى)، وَخُصَّتِ آلُ عِمْرَانَ بِحَرْفِ الْجَرِّ (عَلَى)؛ لِأَنَّ (إِلَى) لِلْإِنْتِهَاءِ إِلَى الشَّيْءِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ، بِخِلَافِ (عَلَى) فَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْفَوْقِيَّةِ، وَلِذَا اسْتَعْمَلَتْ ﴿إِلَى﴾ [البقرة: 136] فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ لِتَصْدِيرِهَا بِخَطَابِ الْمُسْلِمِينَ ﴿قُولُوا﴾ [البقرة: 136]؛ لِأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى وَجْهِ الْإِنْتِهَاءِ، بِخِلَافِ مَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَقَدْ أُوتِرَ فِيهَا حَرْفُ الْجَرِّ (عَلَى)؛ لِأَنَّ الْخَطَابَ فِيهَا بِ ﴿قُلْ﴾ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْوَحْيِ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ (1).

وردَّ هذا الزمخشريُّ والرَّازِيُّ وذكرَا أَنَّهُ تَعَسَّفُ (2)، واعتراضًا عَلَيْهِ بِنَحْوِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: 4]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [آل عمران: 72].
وَالْأَوَّلَى أَنْ يُحْمَلَ ذَلِكَ عَلَى التَّفَنُّنِ فِي التَّعْبِيرِ؛ إِذِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُعَدَّى بِ (عَلَى) وَالْمُعَدَّى بِ (إِلَى) إِنَّمَا هُوَ بِالْإِعْتِبَارِ، فَإِنْ اِعْتَبِرَ مَبْدُؤُهُ؛ مُعَدَّى بِ (عَلَى)؛ لِأَنَّهُ فَوْقَانِيٌّ، وَإِنْ اِعْتَبِرَ اِنْتِهَاؤُهُ إِلَى مَنْ هُوَ؛ مُعَدَّى بِ (إِلَى)، وَيُلَاحِظُ أَحَدُ الْإِعْتِبَارَيْنِ تَارَةً وَالْآخَرُ تَارَةً أُخْرَى؛ تَفَنُّنًا فِي الْعِبَارَةِ (3).

ثالثها: في سورة آل عمران: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، وفي سورة البقرة: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 136]، وَوَجْهُ الْخُلْفِ بَيْنَهُمَا: أَنَّ سُورَةَ الْبَقَرَةِ لَمَّا كَانَتْ فِي سِيَاقِ ذِكْرِ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ؛ نَاسِبُهُ تَأْكِيدُ ذِكْرِ الْإِنْزَالِ

صَيَانَةُ مَقَامِ
النَّبِيِّ ﷺ

(1) الرَّازِبُ، تَفْسِيرُ الرَّازِبِ: 2/689.

(2) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكُشَافُ: 1/381. وَالرَّازِيُّ، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ: 8/282.

(3) الْأَلَوْسِيُّ، رُوحُ الْبَعَانِيِّ: 2/207.

عَلَى النَّبِيِّينَ؛ لَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَفَرَّقَ غَيْرُهُمْ، فَسَجَّلَ إِيْمَانَهُمْ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ؛ تَثْبِيْتًا لِعَقَائِدِهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَمَا أَوْقَى التَّيْيُونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، وَأَمَّا سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ؛ فَالْخَطَابُ أَصَالَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ بِقَرِيْنَةٍ تَصْدِيْرِ الْآيَةِ بِ﴿قُلْ﴾، فَنَاسَبَهُ تَرْكُ التَّوَكُّيدِ؛ لِتَنْزُهِهِ ﷺ حَالًا وَمَقَامًا عَنِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الْمُرْسَلِينَ⁽¹⁾.

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

(أَنْزَلَ) وَ(نَزَلَ):

مَصْدَرُ الْفِعْلِ (أَنْزَلَ): الْإِنْزَالُ، وَمَصْدَرُ الْفِعْلِ (نَزَلَ): التَّنْزِيلُ، وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ مِنْ جِهَةٍ أَنَّ التَّنْزِيلَ يَكُونُ لِمَا يَقَعُ مُفْرَقًا أَوْ تَدْرِيجِيًّا، وَالْإِنْزَالُ يُطْلَقُ عَلَى مَا يَنْزِلُ دَفْعَةً وَاحِدَةً⁽²⁾، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: التَّنْزِيلُ تَدْرِيجِيٌّ، وَالْإِنْزَالُ دَفْعِيٌّ. وَلَا يُعْتَرَضُ عَلَى هَذَا الْفَرْقِ بِأَنَّهُ جَاءَ التَّعْبِيرُ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالْفِعْلَيْنِ مَعًا، لِأَنَّا نَدْفَعُ هَذَا الْإِعْتِرَاضَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ نَزُولَيْنِ⁽³⁾: أَحَدُهُمَا: نَزُولٌ دَفْعِيٌّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. وَالْآخَرُ: نَزُولٌ تَدْرِيجِيٌّ بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ.

الْإِيْتَاءُ وَالْإِعْطَاءُ:

الْإِيْتَاءُ وَالْإِعْطَاءُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ فِي ظَاهِرِ صَنِيعِ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمُعْجَمَاتِ⁽⁴⁾، وَفَرَّقَ آخَرُونَ بَيْنَهُمَا: بِأَنَّ فِي الْإِعْطَاءِ دَلِيلًا عَلَى التَّمْلُكِ بِخِلَافِ الْإِيْتَاءِ⁽⁵⁾، وَأَمَّا فِي الْإِسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ لِلْفِعْلَيْنِ؛ فَإِنَّ بَيْنَهُمَا فَرْقًا مِنْ وَجْهَيْنِ⁽⁶⁾: أَحَدُهُمَا: لَمْ يُسْتَعْمَلِ الْإِيْتَاءُ إِلَّا لِلشَّيْءِ الْكَثِيرِ وَالْعَظِيمِ الشَّانِ: كَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْمَلِكِ، وَالْحِكْمَةِ، وَالرَّحْمَةِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ: الزَّكَاةُ؛ لِعَظِيمِ نَفْعِهَا. بَيْنَمَا يَكُونُ الْإِعْطَاءُ لِلشَّيْءِ الْقَلِيلِ، وَلَمْ يَرِدْ دَالًّا عَلَى الشَّيْءِ الْكَثِيرِ إِلَّا مَقِيدًا بِمَا يَدُلُّ

(1) ابن الزُّبَيْرِ، مَلَكَ التَّأْوِيلَ: 1/53. وَابْنُ عَرَفَةَ، تَفْسِيرُ ابْنِ عَرَفَةَ: 1/379.

(2) السَّمِينُ، عَمْدَةُ الْحَقَاقِ: 4/164، وَالْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ اللُّغَوِيَّةُ، ص: 79. عَنَابَةُ الْقَاضِي: 1/3، 2/3.

(3) أَبُو شَامَةَ، لِلرُّشْدِ الْوَجِيزِ، ص: 17. وَالسِّيُوطِيُّ، الْإِتْقَانُ: 1/146.

(4) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ، وَالْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ: (أُتِيَ). وَابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (أُتِيَ).

(5) الْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ اللُّغَوِيَّةُ، ص: 87.

(6) دَاوُدُ، مَعْجَمُ الْفُرُوقِ الدَّلَالِيَّةِ، ص: 27 - 29.

على الكثرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1]، وقوله: ﴿كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ

وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مُحْظُورًا ۝٢﴾ [الإسراء: 20] .

ثانيهما: أنَّ الإيتاء إذا صدرَ مِنَ الْعَبْدِ؛ يَكُونُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، بخلاف الإِعْطَاءِ فَهُوَ

أَعْمٌ، فيكون عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، كما في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥﴾ [الليل: 5]، وَيَكُونُ

عَنْ كُرْهِهِ، كما في قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْحِزْبَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَلْغُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: 29] .

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم،

قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغاني].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 5، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-57-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 5: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغاني، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-57-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»